

لقاء الضوء على أهمية جودة المدرسة في مصر (2001)

على الرغم من توافر أدلة كثيرة تشير إلى الفوائد الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن زيادة فرص التعليم، فقد جرت محاولات قليلة لاستكشاف عناصر الجودة التعليمية التي تؤثر في تحديد عدد السنوات التي يبقى فيها الطفل بالمدرسة. لقد قام سابقا كل من سينثيا ب. لويد (Cynthia B.) Lloyd، وبربارا س. منش (Barbara S. Mensch)، وويسلي هـ. كلارك (Wesely H. Clark) - وهم خبراء في العلوم الاجتماعية بمجلس السكان - بتقييم أثر المواقف التي يتبناها المعلمون، ومظاهر غياب الإنصاف بين الجنسين، وحالة الخدمات التي تقدمها المدرسة، وعوامل أخرى، في كينيا. كما كرر هؤلاء الباحثون مؤخرا دراسة القضية نفسها في مصر، بالتعاون مع سحر الطويلة (Sahar El Tawila) من الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وباحثين آخرين. لقد أكدت نتائج هذا التقييم على أهمية وجود مستوى متميز من المدارس، كما أدت إلى تغيير المعتقد - الذي طالما ظل عالقا بالأذهان - بأن التمييز القائم على أساس النوع هو السبب في معدلات تسرب التلاميذ المصريين من المدارس.

استند الباحثون إلى البيانات الناتجة عن مسح ميدانيين هما: المسح الخاص بمرحلة المراهقة والتغير الاجتماعي في مصر الذي تم عام 1997، وضم عينة ممثلة على المستوى القومي بلغت 9.128 مراهقا ومراهقة ينتمون إلى الشريحة العمرية 10-19 سنة. أما المسح الثاني، فقد تم في خريف العام الدراسي 1998-99، وتضمن 75 مدرسة عامة ابتدائية، غير دينية.

ينقسم التعليم الإلزامي في مصر إلى مرحلتين: المرحلة الابتدائية التي تمتد من الصف الأول إلى الصف الخامس، والمرحلة الإعدادية من الصف السادس إلى الصف الثامن¹. استعمل الباحثون منهجيات المقابلات، والملاحظة، لجمع البيانات المتعلقة بالخدمات المتاحة، وبالعاملين بالمدارس، ووسائل الإشراف داخل المدرسة، واتجاهات المعلمين فيما يتعلق بدور النوع، والمنهجيات التربوية المتبعة، والتفاعل ما بين المعلمين والتلاميذ.

البيئة المدرسية

يحدد قانون التعليم في مصر عدد التلاميذ في فصول المدارس العامة بما لا يزيد عن 36 تلميذا. غير أن 20% فقط من المدارس تلتزم بهذا البند؛ ففي 37% من مدارس العينة، كانت الفصول تحتوي على 45 تلميذاً أو أكثر. وقد لجأ ما يقرب من 30% من مدارس العينة إلى أسلوب الفترتين في محاولة لتقليل عدد الأطفال في الفصول. إلا أن التحليل يشير إلى أن الفصول تضم 45 تلميذاً أو أكثر في 69% من المدارس التي تعمل بنظام الفترتين، بينما كانت فصول 24% فقط من مدارس الفترة الواحدة هي التي تضم 45 تلميذاً أو أكثر. كما تعاني 66% من المدارس من نقص في المدرسين.

اهتم الباحثون بصفة خاصة بدراسة الاختلافات المبنية على أساس النوع في الممارسات المدرسية بمصر. إذ كانت دراسة كينيا قد أبرزت وجود عدد من مظاهر غياب الإنصاف بين النوعين، تسببت في زيادة احتمالات تسرب الفتيات من المدرسة. تتمثل أهم تفرقة في المناهج الدراسية بين الفتيان والفتيات في مصر في كون الفتيات وحدهن يتعلمن التدبير المنزلي، بينما تقتصر دراسة الزراعة والصناعة على البنين. كما وجد الفريق أن 61% من مديري المدارس و48% من المعلمين لا يتفقون مع هذه السياسة.

واختلافا مع الأوضاع التي اكتشفوها في كينيا - حيث كثيرا ما يتم التحرش بالفتيات والحط من قدرهن - وجد الباحثون في حالة مصر أن احتمالات قيام المعلمين بوصف الفتيان بالفشل أعلى بكثير مقارنة

¹ تم تعديل هذا النظام مؤخرا بحيث أصبحت المرحلة الأولى تمتد من الصف الأول إلى السادس والمرحلة الإعدادية من الصف السابع إلى التاسع.

بالفتيات (34% مقابل 14%)؛ كما أشار عدد مماثل من البنين والبنات إلى أنهم خضعوا للعقاب في اليوم السابق للمقابلة. وبالنسبة لاعتقاد بعض المعلمين أن أحد النوعين يعاني من مشاكل أكبر في التعلم، كان الاعتقاد السائد هو أن الفتيان هم الذين يعانون من مشاكل أكبر من الفتيات.

احتمالات التسرب

وكانت مفاجأة للباحثين اكتشافهم أنه - خلافاً للفكرة السائدة - لا تزيد احتمالات تسرب الفتيات من المدرسة عن احتمالات تسرب الفتيان. وكانت هذه الفكرة قد برزت نتيجة لسد الفجوة النوعية مؤخرًا في معدلات التسجيل بالمدارس للأطفال الصغار مقارنة بالمرهقين. وقد أدى هذا الوضع إلى توليد انطباع لدى العديد من المراقبين بأن احتمالات التسرب عند الفتيات مقارنة بالفتيان تتزايد مع التقدم في السن. أما البيانات الخاصة بسن القيد في المدرسة، فهي تشير إلى أن احتمالات انتساب الفتيات الأكبر سنًا بالمدرسة أقل مقارنة بالفتيات الأصغر سنًا، وليس أن الفتيات يتسربن أكثر من الفتيان في مرحلة المراهقة. تقول لويدي (Lloyd): "إن فكرة تسرب الفتيات من المدارس في مصر أكثر من الفتيان مجرد أسطورة. ففي الواقع، وجدنا أنه طالما التحقوا بالمدرسة، تتساوى إجمالاً احتمالات معدلات التسرب بين البنات والبنين بالنسبة لكل مستوى تعليمي".

حينما يتسرب الأطفال المصريون (فتيات وفتيان) من المدارس، فإنما يعود ذلك إلى أسباب متعددة. ففي حين يمكن التفكير بأن تزايد احتمالات توقيع العقاب الجسدي على الأولاد قد يؤدي إلى تنامي فرص تسربهم، وجد أن معدلات هذا التسرب تتأثر أكثر بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لأسرهم. إذ تساهم بعض العوامل مثل تمتع الأسرة بثراء أكبر في المناطق الريفية، وزيادة عدد سنوات التحاق الأم بالمدرسة، في تقليل إمكانية تسرب الفتيان من المدارس. ومن ناحية أخرى، يتأثر تسرب الفتيات - في كثير من الأحيان - بالبيئة المدرسية. إذ تمثل عدد فترات الخدمة المدرسية عاملاً مهماً يؤثر في تسرب الفتيات. لقد تضاعفت معدلات التسرب من خمس إلى ست مرات في صفوف الفتيات الملتحقات بمدارس الفترتين حيث تقل عدد ساعات التعلم، ويزداد تكديس الفصول، مقارنة بالفتيات الملتحقات بمدارس الفترة الواحدة.

تشير لويدي (Lloyd): "إن هذه الدراسة، والدراسة التي سبقتها في كينيا، تلفيان الضوء على أن أهمية خصائص نوعية التعليم تختلف من مكان لآخر، وفيما بين البنين والبنات".

المصادر:

El-Tawila, Sahar, Cynthia Lloyd, Barbara Mensch, Hind Wassef, Zeinab Gamal, Wesley Clark and Rania Sakr. 2000. *The School Environment in Egypt: A Situation Analysis of Public Preparatory Schools*. Cairo, Egypt, Population Council

Loyd, Cynthia, Sahar El-Tawila, Wesley Clark and Barbara Mensch 2001. Determinants of educational attainment among adolescents in Egypt : Does school quality make a difference ? Policy Research Division Working Paper No. 150, New York : Population Council.

مصادر التمويل

الوكالة الكندية للتنمية الدولية CIDA
مؤسسة بيل و ميليندا جيتس (Bill and Melinda Gates Foundation)
مركز البحوث للتنمية الدولية IDRC
مؤسسة روكفلر (the Rockefeller Foundation)
هيئة المعونة الأمريكية للتنمية الدولية